مصالح إيران تخون المأساة الفلسطينية

ترجمة وتحرير: نون بوست

تنفس لبنان، وربما معظم دول العالم، الصعداء يوم الجمعة عندما تحدث حسن نصر الله، زعيم الجماعة شبه العسكرية اللبنانية القوية "حزب الله"، أخيرًا بعد أربعة أسابيع من الصمت. بدا وكأنه محارب لكنه لم يعلن الحرب.

سيتم تجنيب لبنان للمواجهة الشاملة مع "إسرائيل" – في الوقت الحالي – بينما شعر العديد من الفلسطينيين بالخذلان ليس بسبب الرغبة في المزيد من الصراع وإنما بسبب اليأس من الحصول على بعض الدعم وسط القصف الإسرائيلي المدمّر لغزة.

لكن خطاب نصر الله كان أشبه بمناورة افتتاحية في مفاوضات طهران مع الولايات المتحدة بشأن مكانتها المستقبلية في المنطقة، في منعطف حرج ليس فقط بالنسبة للشرق الأوسط ولكن بالنسبة للجمهورية الإسلامية.

تتمثل الأولويات القصوى لطهران في استقرار النظام، وسط ضغوط سياسية واقتصادية محلية، وحماية أكبر عدد ممكن من أصولها الإقليمية، وضمان خلافة سلسة للمرشد الأعلى علي خامنئي البالغ من العمر 84 سنة عندما يحين الوقت.

لقد أمضت إيران السنوات الـ 44 الماضية في استخدام القضية الفلسطينية لتعزيز مصالحها الخاصة وتعزيز مكانتها مع العرب – فهي تعد بتحرير القدس باستخدام وكلاء لمهاجمة "إسرائيل" بعيدًا عن حدودها، وتهدّد أمريكا وتلعب بشكل عام دورًا تخريبيًا.

لكن يبدو أن العنصر الفلسطيني في هذه الاستراتيجية قد بلغ نهايته بعد أن أدى توغّل حماس في "إسرائيل" في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر إلى جلب الغضب الانتقامي على غزة، بل وأيضًا الحشد العسكري الأميركي الأضخم في المنطقة منذ عقود من الزمن.

وسواء علمت إيران بخطط حماس أم لا، يبدو أنها لم تتوقع حجم العملية ورد الفعل العنيف. فجأة، بدأت طهران تنظر إلى الاحتمال الحقيقي للغاية لحدوث مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة و"إسرائيل"، ويبدو أنها فصلت بهدوء مصالحها عن مصالح الفلسطينيين.

خلال السنة الماضية، تحدّث كل من نصر الله وإسماعيل قاآني، رئيس فيلق القدس الإيراني، عن تنسيق وكلاء إيران وتوحيد الجبهات ضد "إسرائيل". لكن نصر الله قال في خطابه إن عملية حماس كانت "نتيجة قرار فلسطيني مئة بالمئة".لا يزال هناك الكثير من أجل تحقيق الوحدة.

وهذا بالطبع يساعد بشكل ملائم على تجنب الانتقام المباشر. لكن نصر الله أضاف أن من اعتقد أن العملية أو توقيتها يخدم مصالح إيران مخطئ فطهران هي من تحدد مسارها الخاص.

في الشهر الماضي، اشتكى خالد مشعل، أحد كبار مسؤولي حماس، من أن الحركة كانت تتوقع المزيد من الدعم من "حزب الله". ولكن عندما تحدث، أوضح نصر الله أن سلاح الفرسان لن يأتي. وتنظر إيران إلى لبنان كقاعدة دفاع أمامية، في حين يعتبر "حزب الله" خط دفاع رئيسي في حال تعرض النظام لتهديد مباشر – ولا يمكنها التضحية بهذا الأصل من أجل الفلسطينيين.

بدلاً من ذلك، ستقوم طهران بمضايقة أمريكا بشكل متزايد في سوريا والعراق، بينما سيفعل "حزب الله" ما يكفي من جنوب لبنان لإظهار أنه يساعد حماس. قتل حتى الآن 61 من مقاتلي "حزب الله"، وهو رقم كبير أحدث صدمة في قاعدتهم، نظرًا للحرب منخفضة الحدة على الحدود. وقد فسر نصر الله ذلك من خلال الزعم بأن تكتيكات "حزب الله" تجعل ثلث جيش "إسرائيل" مشغولاً على الحدود الشمالية.

حذّر نصر الله من إمكانية التصعيد إذا لم تتوقف الحرب على غزة أو إذا تجاوزت إسرائيل قواعد الاشتباك مع "حزب الله". ويدرك نصر الله إيقاع الحرب جيدًا. وهو يعلم أنه لم يسبق لأي إدارة أمريكية أن دعت "إسرائيل" إلى وقف إطلاق النار في غضون أيام أو حتى أسبوعين من اندلاع الصراع. لقد اختار التحدّث بعد أربعة أسابيع ومقتل أكثر من 10 آلاف فلسطيني، وتزامن تحذيره مع أوّل دعوة للرئيس جو بايدن إلى "وقفات تكتيكية". ويبدو الآن أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وافق ضمنيًا على مثل هذه الوقفات.

هناك الآن حربان تتطوّران بالتوازي: الحرب المباشرة بين حماس و"إسرائيل"، والحرب غير المباشرة التي تشنّها طهران. وهذا يعني أيضًا مسارات دبلوماسيّة متوازية: الأول هو المهمة العاجلة والمباشرة المتمثلة في حماية المدنيين الفلسطينيين، وإطلاق سراح الرهائن الإسرائيليين، وجلب المساعدات إلى غزة، والتوصّل إلى وقف إطلاق النار. أعاد بايدن عملية السلام وحلّ الدولتين إلى جدول الأعمال مرة أخرى. ولكن كلّما طال أمد الهجوم الإسرائيلي على غزة، حتى مع فترات توقف مؤقتة، أصبح من الصعب على العرب المشاركة وعلى السعوديّة إنقاذ جهود التطبيع.

تستفيد إيران أيضًا من استمرار الحرب. ربما تكون في موقف حرج الآن، لكنها ماهرة في تحويل لحظات الخطر إلى فرصة. وفي نهاية هذا الأسبوع، سيتحدث نصر الله مرة أخرى بينما سيقوم الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، بزيارته الأولى إلى الرياض لحضور قمة منظمة التعاون الإسلامي. يجب على السعوديين أن يسألوا رئيسي ليس فقط عما تريده إيران، بل أيضًا عما ترغب في التخلي عنه، من لبنان إلى العراق.

المصدر: فاينانشال تايمز